

نوات تلفزيونية - قناة سوريا الفضائية - الإيمان هو الخلق - الدرس (٤١-٩٥) - مقومات التكليف : الشهوة - انفاق المال ثمن الجنة - التمويه عند الطائر الذهبي
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٦-١٠-١٥

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة وترحيب :

أيها سلام الله عليكم ورحمة الله وبركاته ، وأهلاً ومرحباً بكم في حلقة جديدة من برنامجكم : الإيمان هو الخلق ، يسعدنا أن نكون بمعية الأستاذ الدكتور محمد راتب النابلسي أستاذ الإعجاز العلمي في القرآن والسنة في كليات الشريعة وأصول الدين .
أهلاً وسهلاً ومرحباً بكم .
بكم أستاذ علاء ، جزاك الله خيراً .

وصلنا في الحلقة الماضية سيدي الكريم عند مقوم التكليف ، الشهوة ، وقد سبق هذه الحلقة حلقات ، ربما وصلت إلى تسع حلقات أو أكثر عن الشهوة كمفهوم من مقومات التكليف التي تحدثنا عن سابقاتها ، وهي : الكون - العقل - الفطرة - ووصلنا إلى الشهوة وبقي أمامنا - الاختيار - الشرع - الوقت .

وفي محطة مطولة عند الشهوة التي تنقسم إلى شهوة الجنس ، أو الشهوة الجنسية ، ومررنا عليها ، وفصلنا هذه المسألة ، ثم مررنا إلى قضية المال ، وبحثنا فيه ، وتبيننا بأن لمال قوة كامنة حيادية ، الإنسان هو الذي يوجه المال الوجهة السليمة ، أو غير السليمة ، إذاً : المال بذاته لا يدفع مصيره بذاته ، هو قوة حيادية كما تقضلت ، وإنما الإنسان بمensus اختياره هو الذي يصرف المال في أوجه الخير ، أو في أوجه للشر ، وكذلك يكسب ذلك المال .

وتبيننا أن المال من أهم وسائل التقرب إلى الله عز وجل ، لأن فيه قوام الحياة ، ونريد أن نكمل في هذه المسألة التي لم تغتنِ كما نريد دائمًا ، وأن الإنسان هو الذي يُسأل عن كسب المال ومصادره ، ثم عن أوجه صرفه ، نعم سيدي الأستاذ .

الدكتور راتب :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلوة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين .

١ – السلامة والسعادة في القرب من الله :

أستاذ علاء ، جراك الله خيراً ، الحقيقة أن المال قوام الحياة ، ولكن لأن كل السلامة ، وأن كل السعادة في القرب من الله ، لذلك ربنا جل جلاله صنع لنا وسائل للتقرب إليه ، الله عز وجل خلقنا لسعدنا ، خلقنا ليرحمنا ، خلقنا لجنة عرضها السماوات والأرض :
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ :
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ



قال :

((اللَّهُ أَعْدَدَ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنُ رَأَتْ ، وَلَا أَذْنُ سَمِعَتْ ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ))
[متقد عليه]

الإنسان مخلوق للجنة ، وجيء به إلى الدنيا من أجل أن يدفع ثمن هذه الجنة ، في سنوات معدودة، وجعل الله عز وجل المال أكبر أداة ، وأكبر وسيلة كي يتقرب الإنسان إلى الله .

٢ – المال محبب إلى الإنسان :

بادئ ذي بدئ أودع فيه حب المال ،
إذا أودع الله في الإنسان حب شيء فإذا
أنفقه تقرب إلى الله .

لو أن واحداً منا أمسك بحفنة من
تراب ، وأعطتها إلى فقير ، لا يتقرب
بها إلى الله ، لأن التراب لا قيمة له ،
أما ألف ليرة فلها قيمة .

إذا : لأن المال قد زُين إلى نفوسنا :



﴿ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمَّا ﴾

(سورة الفجر الآية : ٢٠)

وَحِقْيَةُ الْمَالِ أَنَّهُ مُحِبٌ لِلإِنْسَانِ ، فَهِينَما يَنْفَقُهُ يُؤكِدُ صِدْقَهُ فِي مُحِبَّتِهِ اللَّهِ ، الْمُحِبَّةُ تُدْعِيُ ، لَكُنَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هِينَما طَالَبَنَا أَنْ نَحْبَهُ طَالَبَنَا بِالدَّلِيلِ .

﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي ﴾

(سورة آل عمران الآية : ٣١)

مَا قَبْلَ دُعَوِي مُحِبَّتِهِ بِلَا دَلِيلٍ ، بِالْكَلَامِ مَا قَبَاهَا .

﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحِبِّكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرُ لَكُمْ ﴾

(سورة آل عمران الآية : ٣١)

القضيةُ الدِّيقَيْةُ : أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مُؤْمِنٌ بِذَاتِهِ مُصْدِرُ سُعَادِ الْخَلَائِقِ ، فَقَدْ رَسَمَ لِلْخَلَائِقِ طَرِيقًا إِلَيْهِ ، هَذَا الطَّرِيقُ بْنِي عَلَى الشَّهَوَاتِ ، وَعَلَى رَأْسِهَا الْمَالُ وَالْمَرْأَةُ ، فَهَذَا الْمَالُ الَّذِي حَبَّبَ اللَّهَ إِلَيْنَا إِيَّاهُ إِذَا أَنْفَقْنَاهُ نَصَلَ إِلَيْهِ ، لَذَلِكَ رُبُّ دَرَهَمٍ سَبْقُ أَلْفِ دَرَهَمٍ ، رُبُّ دَرَهَمٍ أَنْفَقَ فِي إِخْلَاصٍ سَبْقُ أَلْفِ دَرَهَمٍ أَنْفَقَ فِي رِيَاءٍ ، وَدَرَهَمٌ تَتَفَقَّهُ فِي حَيَاتِكَ خَيْرٌ مِنْ مَئَةِ أَلْفِ دَرَهَمٍ يَنْفَقُ بَعْدَ مَمَانِكَ ، لِأَنَّ الْمَالَ فِي الْحَيَاةِ لَهُ مَعْنَى ، وَلَهُ تَأْثِيرٌ ، وَمَادَةُ الشَّهَوَاتِ مَادَةُ الرِّفَاهَةِ ، مَادَةُ السُّرُورِ ، فَلَذِكَ إِنْفَاقُ الْمَالِ فِي الْحَيَاةِ أَبْلَغُ مِنْ إِنْفَاقِهِ بَعْدَ الْمَمَاتِ .

الأَسْتَاذُ عَلَاءُ :

الْجَهَةُ الْعَاقِلَةُ الَّتِي تَتَصَرَّفُ ، وَتُحِبُّ هَذَا الشَّيْءَ ، وَتَتَخَلُّ عَنْهُ فِي أَوْجَهِ الْخَيْرِ ، وَفِي أَوْجَهِ الْبَرِّ ، عِنْدَمَا تَمُوتُ تَذَهَّبُ هَذِهِ الْقُوَّةُ ، وَلَمْ تَعُدْ لَهَا الْخَيْرُ فِي أَنْ تَصْرُفَ أَوْ لَا تَصْرُفَ ، إِذَاً : صَرَفَ الْمَالَ فِي أَوْجَهِ الْخَيْرِ ، وَالْإِنْسَانُ عَلَى قِيدِ الْحَيَاةِ ، وَهُوَ مُمْكِنٌ بِصَحتِهِ هُوَ أَفْضَلُ بَكْثِيرٍ مِنْ صَرْفِهَا بِوَصِيَّةٍ بَعْدَ وَفَاتِهِ .

الدُّكْتُورُ رَاتِبُ :

كيف يرمم الإنسان خطأه ؟

بَلْ إِنَّ إِنْسَانًا لَوْ أَنَّهُ تَابَ تَوْبَةً نَصْوَحًا ، ثُمَّ زَلَّتْ قَدْمَهُ ، كَيْفَ يَرْمِمُ هَذَا الْخَطَأَ الْكَبِيرَ ؟ قَالَ تَعَالَى :

﴿ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبُنَّ السَّيِّئَاتِ ﴾

(سورة هود الآية : ١١٤)

بعضُ الْإِخْوَةِ الْكَرِمِ هِينَما يَصْطَلِحُونَ مَعَ اللَّهِ ، وَيَعْقُدُونَ التَّوْبَةَ النَّصْوَحَ ، لَوْ — لَا سَمَحَ اللَّهُ وَلَا قَدْرٌ — وَقَعَتْ نَكْسَةٌ طَفِيفَةٌ إِلَيْهِنَّ إِذَا أَنْفَقُ مَالَهُ ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ فَكَانَ هَذَا الإِنْفَاقُ يَرْمِمُ هَذِهِ الْزَّلَةَ الَّتِي وَقَعَ فِيهَا ، إِذَاً : الْمَالُ لَهُ دُورٌ فَعَالٌ فِي حَيَاةِ إِنْسَانٍ .

بَلْ إِنَّ اللَّهَ سَبَّحَنَهُ وَتَعَالَى هِينَما قَالَ فِي مَطْلَعِ سُورَةِ الْبَقْرَةِ :

﴿ إِنَّمَا الْكِتَابُ لَا رِبَّ لِهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيَقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمَا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾

(سورة البقرة الآية : ١ - ٢)

الإيمان بالمحسوسات لا يقدم ولا يؤخر :

أستاذ علاء ، أن ترى المحسوسات لا يبع هذا إيماناً ، لذلك فرعون لما رأى الموت قال :

﴿ أَمَنتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي أَمَنتُ بِهِ
بَنُو إِسْرَائِيلَ ﴾

(سورة يونس الآية : ٩٠)

لأنه رأى مصيره الحقيقي رأي العين ، هذا لا يسمى إيماناً ، لذلك قال تعالى :

﴿ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ



الإيمان لا يسمى إيماناً إلا إذا آمنت بالغيب

﴿ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا ﴾

(سورة الأنعام الآية : ١٥٨)

العاقل يحكمه النص ، وغير العاقل يحكمه الواقع :

إذاً : الإيمان أن تؤمن بالغيب ، وهذه بطولة كبيرة جداً ، معك نص ، المؤمن دفعه النص إلى إنفاق المال ، النص ردعه عن ارتكاب المعاصي ، أحياناً الشهوات محسوسة ، لماذا يستحق المؤمن جنة ربها ؟ بالشهوات ، ملء سمعه وبصره ، أما هو فما الذي ضبطه ؟ كلام ، بالتعبير المأثور حبر على ورق ضبطه .

كنت أضرب مثلاً عدة مرات : إن رجلاً ذهب إلى حمص ليقبض مبلغاً كبيراً جداً في أيام الشتاء ، فرأى لوحة صغيرة : الطريق إلى حمص مغلقة بسبب تراكم الثلوج في منطقة النبك ، أربع كلمات ، فرجع إلى بيته ، ما الذي حمله أن يعود إلى البيت ؟ أربع كلمات ، فالعاقل يحكمه النص ، أما لو أن الدابة تمشي على هذا الطريق فإنها تقف عند الثلوج ، بشكل عام العاقل يحكمه النص ، والدابة يحكمها الواقع .



يصاب إنسان بالسرطان بعد إدمانه على التدخين ، ثم يرتفع بعد السرطان، هذا دابة ، أما المؤمن العاقل الموفق الذي المتوفّق فهو الذي يردعه النص ، فالنص الشرعي فيحرّم الدخان، والبحث العلمي يبيّن أخطاره . البطولة أن نتعامل مع النصوص ، ما هو الإيمان بالغيب ؟ أنت أمام كلام خالق الأكوان ، دفعك إلى أن تتحرى

الحلال ، دفعك إلى أن تكون حليماً ، دفعك إلى أن تكون كريماً ، دفعك إلى أن تكون عفيفاً ، دفعك إلى أن تكون صادقاً ، دفعك إلى أن تكون أميناً ، كل هذه الفضائل ، وكل هذا الانضباط ، وكل هذا العطاء ، وكل هذا البذل ، والتضحية بنص قرائه ، لكنه صدق مضمونه ، هذا الإيمان بالغيب .

لذلك :

﴿ الْمَ * ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَبِّ فِيهِ هُدَىٰ لِلْمُنْتَقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ﴾

(سورة البقرة : ١ - ٣)

مثلاً : لو قلنا لإنسان : إن أخذت هذا المبلغ حراماً تُقتل ، لا أحد يأخذك ، ولو كان كافراً ، أما حينما يكون النص فقط لك أن تأخذك ، ولك ألا تأخذك ، ثم تحاسب بعد حين ، هنا يمتحن الإنسان ، لو أن عقاب المعصية جاء فور المعصية ، ولو أن ثواب الطاعة جاء بعد الطاعة لبطل الثواب والعقاب ، لو أنك تعاملت مع الأشياء ، مع المحسوسات ، لم يُعذّب هناك إيمان ، وأيّ إنسان مهما يكن بعيداً عن الله حينما يرى نتيجة المعصية طلاقه رصاص تأتي في رأسه لا يعصي الله ، أما الإنسان فله أن يعصي الله ما شاء ، ولا يرى شيئاً ، قلبه ينبعض بانتظام ، ضغطه طبيعي ، دخله كبير ، مركتبه أمامه ، بيته فخم ، هذا الابتلاء ، تستطيع أن تعصيه دون أن ترى النتائج قريبة . فإذاً : الإيمان أيضاً يمكن أن تطيع الله ، وتبقي في دخل محدود ، يمكن أن تطيعه وعندك مئات المشكلات ، متى يكون هذا الامتحان مؤهل لدخول الجنة ؟ أن النتائج ليست قريبة ، بل بعيدة ، لذلك خلق الإنسان عجولاً ، يريد الشيء أمامه ، أما العاقل فمهماً يبحث عن الجزاء الأبدى . العاقل أستاذ علاء ، قبل أن يفعل شيئاً يقول : لو أوقنني الله يوم القيمة ، وقال لي : لم طلت زوجتك ، وهي محسنة ؟ وهي جيدة ؟ لم أكلت هذا المال الحرام ؟ لم احتلت على فلان ؟ لم أهنت فلان ؟ هذا كله يفكر فيه إذا وقف بين يدي الله عز وجل .

إذاً : كلمة إيمان ، أن الإنسان فكر في هذا الكون ، واستنبط أن له إلهاً عظيماً ، وأن هذا القرآن له ، وهو الخالق ، وله تعليمات ، فصدق النص ، لذلك له أجر كبير ، أما الإنسان الآخر فيتعامل

مع الحسبيات ، ما دام بصحة جيدة ، وعنه دوافع شهوانية يمارس الشهوات بلا قيد ، ولا شرط ، ولا ضابط ، ونرى ونسمع كل يوم ما يجري في العالم ، وحينما يقوى الإنسان يطغى .

﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى * أَنْ رَأَهُ اسْتَقْنَى ﴾

(سورة العلق الآية : ٦)

فذلك الإيمان أن تتعامل مع النص ، مع النص القرآني ، ومع النص النبوي ، فتصدق مضمون هذا النص ، فتضبط وتحسن ،

﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ * وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفَقُونَ ﴾

إن ألف إنسان لو قيل لهم : لو فعلت كذا تتوب ، لا أحد يفعل ، على اختلاف ملائمتهم ونحلهم ، وانتماءاتهم ، إلا فقد العقل ، أما الإنسان العاقل فهو الذي يؤمن بنص قطعي الثبوت والدلالة ، ويعلم علم اليقين أن هذا النص واقع به .

كنت أقول : إن الإنسان لو كان في طائرة ، واستهزأ بقانون السقوط ، ولم يقبله ، ونزل بلا مظلة ، القانون إذا كتبنا به ، ولم نعبأ به ، واستهزأنا به فهو مطبق علينا ، سواء آمنا به أم لم نؤمن ، فضلناه أم احقرناه ، هو مطبق علينا ، حينما لا يقبل الإنسان وهي الله ، حينما يقول : هذا الشيء لا يصلح لهذا العصر ، هذه أفكار ضبابية ،



غير المؤمن لا يؤمن إلا بالمحسوسات

أفكار ما وراء الطبيعة ، هذه غيبيات ، هذا تعبير عن ضعف الإنسان ، لضعفه الشديد اخترع الدين ، هكذا يقول بعض الناس ، هذا الكلام ليس معنى هذا أن الإنسان حينما يرفض هذا المنهج الإلهي أنه لا يطبق عليه ، سيكون تحت مظلته ، وتحت سيطرته .

فذلك الإنفاق جزء من الإيمان ، أنت خلقت للجنة ثمن الجنة الإنفاق ، هنا الإنفاق عام ، تتفق من علمك ، من خبرتك ، من جاهك ، من وقتك ، من عضلاتك ، من مالك ، لكن المال محظوظ ، وإنفاقه يعني شيئاً كبيراً ، قد تتفق من وقتك تماماً فتستريح ، أما هنا ألفين ليرة خمسة آلاف ليرة أطعمت بها مسكيناً ، قدمت لها مساعدة لإنسان يحتاج إلى عملية جراحية .

فذلك المال لأنه محظوظ بل هو من أشد الأشياء المحببة ، لقوله تعالى :

﴿ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًاً جَمَّاً ﴾

(سورة الفجر الآية : ٢٠)

كان إتفاقه برهاناً ودليلًا قاطعاً على محبة الله ، لذلك القرآن عدل في بعض الآيات عن تسمية الزكاة إلى كلمة صدقة ، إنما الصدقات هي الزكاة لأن كلمة صدقة مأخوذة من الصدق ، أي تؤكد صدق الإنسان في محبته لله .



الأقوية عاش الناس لهم والأنبياء عاشوا للناس

المؤمن بالتعبير المعاصر استراتيجي في سلوكه في الإنفاق ، لأنّه يعطي من أجل أن يرضي الله عنه ، يعطي ولا يأخذ ، الطرف الآخر يأخذ ولا يعطي ، وكانت أقول داماً : القوى البشرية كثلتان في الأنبياء والأقوية ، الأنبياء أعطوا ولم يأخذوا ، الأقوية أخذوا ولم يعطوا ، الأنبياء ملكوا القلوب ، والأقوية ملكوا الرقاب ، والأنبياء

عاشوا للناس والأقوية عاش الناس بهم ، الأنبياء يُمدحون في غيبتهم والأقوية في حضرتهم . لذلك الإنفاق أحد أكبر نشاطات المؤمن في الأرض ، لكن الإنفاق في المعنى الواسع يبدأ بنصيحة ، قد تدرس طفلاً ، تدرسه بعض العلوم التي تتقصّه ، قد تطعم فقيراً ، القضية واسعة جداً .
الأستاذ علاء :

سيدي الكريم ، هنالك مفهوم شائع ، بأن الكريم الذي ينفق هو من يتخلّق بخلق من أخلاق الله عز وجل ، ومن صفات الله عز وجل الكريم ، المفهوم يقول : حتى الكريم إن كان مقصراً في بعض العبادات ، ومقصراً في بعض الواجبات ، لكن بإتفاقه الله عز وجل يكرمه ، ويفتح أمامه ، ماذا نقول في هذه المحطة ؟.

الدكتور راتب :

النفقة تغطي النقص الحاصل في الإنسان :

لا شك أن الله سبحانه وتعالى رب كريم ، وهو يقدر كل شيء ، وقد يكون الوقت قصيراً جداً في الليل في أيام الصيف ، فالذي لا يقوم الليل لعل الله سبحانه وتعالى يقدر الليل والنهار ، لكنه ينفق في النهار نفقة تغطي تقصيره في قيام الليل .

الإنسان أحياناً بالخلق العظيم ، والخلق السامي ، هذا صاحبه يسبق القائم الصائم ، وهناك أحاديث كثيرة جداً تذكر أن صاحب الأخلاق الرفيعة قد يسبق بها الخلق الرفيع العبد بأشواط كثيرة ، لأن الله يحب من عبده أن يقدم له عملاً يتقرب به إليه .
لذلك العبد يحب ذاته ، أما المنافق فيحب غيره .

أقول كلمة دقيقة : رأى النبي رجلاً يعبد الله في وقت العمل ، سأله سؤالاً فيه ملمح كبير ، قال له : مَن يطعُّنك يا فلان ؟ قال له : أخي ، قال له : أخوك أَبْدَ منك ، الذي يعمل أقرب إلى الله من الذي لا يعمل ، الذي يده على أقرب إلى الله من الذي يده سفلي .

لَكِنَّ لَمْ جَاءَهُ شَرِيكَانِ يَشْتَكِيُ الْأُولُ
عَلَى الثَّانِي لِقَلَةِ جَهَدِهِ ، لَكِنَّ الثَّانِي
طَالِبٌ عِلْمٍ يَتَعَلَّمُ لِيَعْلَمُ النَّاسَ ، لِيَعْلَمُ
الْخَيْرَ ، قَالَ لَهُ : لَعَلَكَ تَرْزُقُ بِهِ ،
الوَضْعُ اخْتَلَفَ ، الْعَابِدُ لِذَاتِهِ ، أَمَا الْعَالَمُ
فَلِغَيْرِهِ ، هَذَا حِينَما تَطْلُبُ الْعِلْمَ مِنْ أَجْلِ
أَنْ تَعْلَمَ النَّاسُ ، لَأَنَّ أَرْزَمَةَ أَهْلِ النَّارِ
وَهُمْ فِي النَّارِ أَرْزَمَةُ عِلْمٍ .



﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعْيِ﴾

(سورة المكمل الآية : ١٠)

العلم هو الحاجة العليا في الإنسان ، وفي الإنسان حاجات سفلية ، هو وبقية المخلوقات سواء ، الإنسان يتزوج ، والحيوان يقترب بأنتهاه ، الإنسان ينجذب ، والحيوان كذلك ، لكن هناك حاجة علياً عند الإنسان ، هي أن يعرف الله ، وأن يصطحب معه ، وأن يقبل عليه حتى تسمو نفسه . فلذلك الطريق الأسرع ، وأحياناً يقال لك : طريق سريع ، طريق عريض ، هناك طريق معه وسائل إرشادية ، أسرع طريق إلى الله إنفاق المال .

الأستاذ علاء :

نحن تحدثنا عن المنافق الباذل مع وجود تقصير ، لكن هناك مفهوم سائد : المنافق الباذل في وجوه الخير ولو كان على معصية في وجه آخر يوفقه الله ، هكذا بين العوام .

الدكتور راتب :

المنافق عمله محفوظ ولو كان مقصراً :

هذا المعنى دقيق جداً ، أنا الذي أؤمن به أن أي عمل صالح صدر من أي إنسان كائناً من كان محفوظ عند الله ، الله عز وجل أعظم وأجل من أن يضيع على إنسان عمله الصالح ، فإن ابتغى به الدنيا أعطاها الدنيا ، وإن ابتغى به الآخرة أعطاها به الدنيا والآخرة .

الأستاذ علاء :

كنت أود أن أبحث في هذه القضية ملياً ، لكن يبدو لي الوقت الفقرة العلمية جاءنا .

الدكتور راتب :

ما أحسن عبد من مسلم أو كافر إلا وقع أجره على الله في الدنيا أو في الآخرة ، ومستحيل على خالق السموات والأرض أن يضيع على إنسان عمله الطيب .

الموضوع العلمي : عمليات التمويه عند الحيوانات :

١ – اليرقات تصنع لباساً للتمويه :



هذه الدودة الصغيرة تعرف كيف تحمي نفسها بالتخفي من قطع الحجر الصغيرة ، التي نسقتها

على جسمها بدقة عالية ، أزياء الورقة ليست نموذجاً واحداً ، فكما أن لها زياً من قطع الخشب الصغيرة كما نرى ، فقد صنعت لنفسها أيضاً زياً فضفاضاً من الأوراق ، ترتدي ثياب تارةً من الأحجار الصغيرة كأنها فسيفساء ، وتارةً من عيدان خشبية ، وتارةً من أوراق الشجار ، هذه الكائنات دودة صغيرة لا تملك أي عقل أو وعي ، ولا تعرف شيئاً بالنسبة للعالم الخارجي قد خرجت تواً من البيضة على الرغم من أنها تحمل على ظهرها هذه الأنفال الكبيرة ، ترى لماذا تفعل هذا الشيء ؟

٢ – تفسير هذه الأفعال :

المدافعون عن نظرية التطور يقفون في حيرة من أمرهم تجاه هذا السؤال واحد منهم ألماني يدعى " هلمر " يذكر في كتابه المسمى الديناصورات الهدائة تفسيراً لهذه التصرفات الذكية التي تصدرها الدودة ، من الأصل في هذا الإبداع الذي أوقع الإنسان في حيرة ، أثر من ؟ هذه القمة في الإبداع التي أخذت به الدودة منذ ولادتها ، علينا أن نقبل أن هذه الأساليب كلها لا يسلكها إلا

إنسان ذكي جداً للحفاظ على حياته ، فليس للدودة الاستطاعة على التغطية غاية منشدة ، يرى صاحب هذا العقل أن عمل هذه الكائنات المموهة من قدرة الله تعالى الحاكمة لها .

٢ – بطلان نظرية التطور والارتقاء :

ها هنا الحقيقة لو يريد التطويريون الاعتراف بها ، يعني الذين يؤمنون بنظرية داروين ، كل هذه الخصائص الخارقة للكائنات خلقت من قبل الله تعالى ، فهي آية له ، وآية على علمه ، وآية على خبرته التي لا حدود لها .

التفكير في خلق السماوات والأرض كما يقال دائماً أوسع طريق نسلكه إلى الله ، بل هو أقصر طريق لمعرفة الله ، لأنه يضعك أمام عظمة الله .

التمويل عند الطائر :

١ – عمليات التمثيل والتظاهر عند الطائر :

بعد قليل نشاهد هذا الطائر الذهبي الذي حير الإنسان بصفاته ، بقدرته الفائقة على التمويه ، ومهاراته في التمثيل ممثل من الطراز الأول ، وشجاعته وتضحيته ، هذا الطائر يبني عشه بين الأعشاب والمراعي ، قيود هذا الطائر منقوشة تماماً في بطنه الأم قبل أن تبيض ، هذه النقوش حماية خاصة من أي مكروه ، أو من أي مشكلة ، خلقت لتأمين التمويه اللازم للبيض ، وهكذا لا تتميز البيوض عن الأعشاب التي بينها ، وعند اقتراب الخطر من عشها من فيل جارح أو إنسان ، الآن يقوم الطائر بحركة محيرة جداً ، ينطلق من عشه ثم يمثل دور الطائر الجريح المكسور الجناح ، العملية تمثيلية محضة ، الغريب أنه كلما اقترب منها أحد تبدأ مرة أخرى بهذا التمثيل الدقيق ، تمثل أنها طائر مكسور الجناح ، فإذا توسيع المسافة بينها تمام ، وتكرر خدعة الجريح من حين لآخر ، وهدفها بإبعاد عين الغريب المقترب عن العش ، وإذا ابتعد الخطر بما فيه الكفاية ينتهي التمثيل ، ويعود الطائر إلى عشه ، فهو مموه وممثل .

٢ – فَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ :

لا شك أن هذا الطائر يظهر تصرفًا فائقاً ، أن يلقي عصفور صغير نفسه إلى التهلكة ، أن يقدم نفسه تضحية كبيرة لأجل صغاره ، هذه التضحية لا تفسر بأي شكل كان .

الداروينية تفترض في مبدئها أنانية كل حي ، ولكن هذا الطائر الذهبي يفسد هذه الفرضية ، ويوضح لنا مرة أخرى أن صفاته ، وشجاعته ، وتضحيته ،



الطائر الذي حير العلماء بقدرته على التمويه بالتمثيل

وتصرفاته الذكية إلهام من الله عز وجل إلى كل الكائنات .

﴿فَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾

(سورة المؤمنون الآية : ١٤)

لابد من التفكير في خلق السماوات والأرض :



وكلما تأملنا في الطبيعة نواجه الحقائق نفسها ، فالكائنات ذات بنية معقدة في قمة التصميم ، تبطل زعم المصادفة في نظرية التطور ، كل كائن على حد دليل على عظمة الله عز وجل ، لكل نوع من الكائنات خصائص فائقة يختلف بعضها عن بعض ، صاحب كل هذه المخلوقات البديعة هو الله تعالى رب السماوات والأرض وما بينهما سبحانه وتعالي .

فيما أيها الإنسان العاقل ، ألا تتفكر في خلق السماوات والأرض فتتعرف من خلال هذا التفكير إلى الله الموجود الكامل الواحد إلى إله عظيم ، ورب كريم ، وخلق عظيم ؟ هذا التفكير في خلق السماوات والأرض طريق سريع وعربيض يسلكه الإنسان لمعرفة الله جل جلاله ، كل مخلوق له

خصائص ، وله طباع ، وله ألوان ، وله عادات ، وله حالات خاصة هذا من عظمة الله عز وجل
بديع السماوات والأرض .

لذلك الإنسان حينما يتقرب في خلق السماوات والأرض يقف أمام عظمة الله جل جلاله .

﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَرَبُّ الْأَرْضِ رَبُّ الْعَالَمِينَ * وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَكِيمُ﴾

(سورة الجاثية الآية : ٣٦ - ٣٧)

﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾

(سورة آل عمران الآية : ١٩١)

الأستاذ علاء :

ختامة وتوديع :

أعزائي المشاهدين لا يسعني في نهاية هذه الحلقة إلا أنأشكر شكرًا جزيلاً الأستاذ الدكتور محمد راتب النابلسي ، أستاذ الإعجاز العلمي في القرآن والسنة في كليات الشريعة وأصول الدين في دمشق ، شكرًا لكل ما قدمت ، وإلى اللقاء في حلقة قادمة بمشيئة الله تعالى .
وسلام الله عليكم ورحمةه وبركاته .

والحمد لله رب العالمين